187659 ـ هل يباح الكذب للتخفيف عن المريض وإدخال السرور عليه ؟

السؤال

أختي لديها إعاقة ذهنية وحركية ، لكنها تفهم كل شيء يقال ، ولكنها لا تقدر على التكلم كثيرًا ، فتعبر بلغتها طول الوقت ، أحاول أفرحها ، بس أحيانا بالكذب عليها ، مثلا كل لما أشوف أحد يسألني عليكِ ، وأحيانا أحكي لها حاجات تفرحها ، ولكن قدر منها من تأليفي ، ولما أمي تخرج أكذب عليها وأقول : إن أمي نائمة حتى لا تبكي ، أنا لا أريد أن أحسسها بمرضها أو أنها مختلفة عن أي أحد . ولكني لا أدري هل طريقتي خطأ ؟ وذاك لأني أكذب عليها ، وأن الله سوف يحاسبني على ذلك بالذنوب ، أنا لا أقصد الكذب ، ولكني أحاول أن لا أجعلها حزينة .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الأصل في الكذب أنه حرام ، ولا يباح إلا في حالات خاصة بينتها الشريعة ، تحقيقا للمصلحة العظيمة أو دفعا للمضرة ، وتجدين هذه الحالات في جواب السؤال رقم : (47564).

ولكن ينبغي عدم التهاون في شأن الكذب مع دعوى أنه لدفع مفسدة ، بل لا بد من الموازنة الصحيحة ، بين المصالح والمفاسد.

وإن كان شفاء المريض وإدخال السرور عليه فيه مصلحة كبيرة ، إلا أن الكذب عظيم ، وذنبه كبير ، وفي المعاريض مندوحة عنه ، فمن استطاع أن يستغني عن الكذب باستعمال التورية والمعاريض : فلا شك أنه أولى وأفضل ، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " إن في معاريض الكلام ما يغني الرجل عن الكذب" رواه البيهقي في " السنن الكبرى " (10/199) ، وقال البخاري رحمه الله في صحيحه : " باب المعاريض مندوحة عن الكذب ، وقال إسحاق : سمعت أنسا : مات ابن لأبي طلحة ، فقال : كيف الغلام ؟ قالت أم سليم : هدأ نَفَسُه ، وأرجو أن يكون قد استراح . وظن أنها صادقة " .

ومعنى المعاريض : أي الكلام الذي يظنه السامع شيئاً ويقصد المتكلم شيئاً آخر.

قال الحافظ ابن حجر : " وشاهد الترجمة منه قول أم سليم : (هدأ نَفَسُه ، وأرجو أن قد استراح) ؛ فإن أبا طلحة فهم من ذلك أن الصبي المريض تعافى ؛ لأن قولها : هدأ ، بمعنى سكن . والنفَس مشعر بالنوم ، والعليل إذا نام أشعر بزوال مرضه أو خفته ، وأرادت هي أنه انقطع بالكلية بالموت ، وذلك قولها : وأرجو أنه استراح . فهم منه أنه استراح من المرض بالعافية ، ومرادها أنه استراح من نكد الدنيا وألم المرض ، فهي صادقة باعتبار مرادها ، وخبرُها بذلك غير مطابق للأمر الذي فهمه أبو طلحة ، فمن ثَمَّ قال الراوي : وظن أنها صادقة ، أي باعتبار ما فهم" انتهى من "فتح الباري" (10/594).

وقال ابن قتيبة رحمه الله : " فمن المعاريض قول إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في امرأته: إنها أختي ، يريد أن المؤمنين إخوة " انتهى من " تأويل مختلف الحديث " ص 35 .

وعليه: فتستطيعين استخدام المعاريض مع أختك المريضة ، فتفهم هي من كلامك شيئًا ، وأنت تريدين شيئًا آخر ، فمثلاً : إن سألتك عن أمك ، تقولين : موجودة . فتفهم هي أنها في البيت ، وأنت تقصدين ـ مثلاً ـ أنها موجودة في الدنيا ، وما شابه ذلك ، وهذا إن كان قول الحقيقة سيؤثر على مرضها سلبًا ، أما إن لم يكن يؤثر عليها فلا تلجئي للمعاريض حينئذ ، ويجب عليك قول الصدق.

كما يمكنك أن تقصي عليها بعض القصص الطريفة أو تحضري لها بعض الألعاب المسلية المفيدة ، وما شابه ذلك .

ونسأل الله تعالى أن يشفي أختك ويعافيها عاجلا غير آجل .

والله أعلم .